جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

مَجلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

ملحق

العدد التسعين/ السنة الثانية والخمسون

عدد خاص بالمؤتمر العاشر لكلية الآداب/ جامعة الموصل

ربيع الثاني – ١٤٤٤هـ / تشرين الثاني ١/١١/٢٠٢٢م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506

للتواصل:

radab.mosuljournals@gmail.com

URL: https://radab.mosuljournals.com

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلميَّة الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانيَّة
باللغة العربيَّة واللغات الأجنبيَّة

ملحق العدد: التسعين/ السنة: الثانية والخمسون/ ربيع الثاني – ١٤٤٤هـ / تشرين الثاني ٢٠٢٢م

عدد خاص بالمؤتمر العاشر لكلية الآداب/ جامعة الموصل

رئيس التحرير: الأُستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحرير: الأُستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيبانيّ (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

الأُستاذ الدكتور حارث حازم أيوب	(علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق
الأُستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي	(اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور مقداد خليل قاسم الخاتوني	(اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق
الأُستاذ الدكتور علاء الدين أحمد الغرايبة	(اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأُردن
الأُستاذ الدكتور قيس حاتم هاني	(التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق
الأُستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار	(التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية
الأُستاذ الدكتورة سوزان يوسف أحمد	(الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر
الأُستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو	(اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا
الأُستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى	(المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندريّة
الأُستاذ الدكتور كلود فينثز	(اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا
الأُستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز	(الأدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة
الأُستاذ المساعد الدكتور سامي محمود إبراهيم	(الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: م.د.خالد حازم عيدان – مقوّم لغوي/ اللغة العربيَّة

م.م.عمَّار أحمـــــد محمود – مقوّم لغوي/ اللغة الإنكليزيَّة

المتابعـــــــة:

مترجم.إيمان جرجيس أمين – إدارة المتابعـــــة

مترجم.نجلاء أحمد حسين – إدارة المتابعـــــة

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأَخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أَن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أَن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أَي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلَّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليَّة البحث) .
- يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيَّة أو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـويـات

العنـوان	الصفحة
بحوث اللغة العربية	
الإعجاز البلاغي في الأساليب التعليمية في القرآن الكريم (أُسلوبُ العروضِ العمليّةِ أنموذجاً) أَسماء سعود إدهام وأُبي إبراهيم حسين وعزيز أكرم عزيز	١ - ٤٦
تراكيب المجاز في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويليّ أمين لقمان الحبَّار و يونس أحمد الحديديّ	٤٧ - ٦٢
مداخل التعلُّم التفاعلي للناطقين بغير اللغة العربية عبدالقادر فيدوح	٦٣ - ٨٤
تأثير اللغة التركيَّة على اللهجة العراقيَّة حسن عكريش	٨٥ - ١٠٠
المقصديَّة في ضوء التداوليَّة المعرفيَّة قراءة لنماذج مختارة من شعر محمد بن حازم الباهليّ علا هاني صبريّ وعبدالله خليف خضير الحيّاني	١٠١ - ١٣٠
تَلاقِي الأُصُول الدَّلالِيَّة للجُذُورِ اللُّغَوِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ في مُعْجَمِ مَقَاييسِ اللُّغة - القَطْعُ مثالًا – إدريس سليمان مصطفى	١٣١ - ١٥٢
سلطة الاستلاب في شعر عمر بن أَبي ربيعة دراسة في صورة المرأة إيمان خليفة حامد	١٥٣ - ١٦٦
مظاهر العنف في رواية الشاحنة لمحمود سعيد بيداء حازم سعدون	١٦٧ - ١٨٨
مراثي شواعر العرب في(معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام) دراسة موضوعية فنية دنيا عزيز محمد صالح و إيمان خليفة حامد	١٨٩ - ٢٢٤
العلامة المكانية في شعر عارف الساعدي-دراسة سيميائية شفاء صالح سفر و إسماعيل إبراهيم المشهدانيّ	٢٢٥ - ٢٤٤
معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام وقفة مع المصطلح والمحتوى دنيا عزيز محمد صالح و إيمان خليفة حامد	٢٤٥ - ٢٦٨
مقدِّمة المُحَشِّي أَحمد بن محجوب الرفاعيّ (ت١٣٢٥هـ) على الشرح الصغير لبحرق على لامية الأَفعال -دراسة وتحقيق- شيبان أَديب رمضان الشيبانيّ وكمال ياسين جبر السالميّ	٢٦٩ - ٣٢٦
الاستلزام الحواريّ في المقال المعاصر على وفق مبدأ التعاون لبول غرايس -كتاب وإذا الصحف نشرت لأَدهم شرقاوي أُنموذجًا- أَحمد صالح ذياب وعبدالله خليف خضير	٣٢٧ - ٣٦٠
(الأنا) بين التواصل والقطيعة . قراءة في الخطاب الديني عهد طلال سليم و إيمان خليفة حامد	٣٦١ - ٣٧٨

دلالة صفات الأصوات في سياق أوصاف الماء في القرآن الكريم مسعود سليمان مصطفى	٣٧٩ - ٤٠٢
العلاقة بين المقدمة والخاتمة والمفهومات المقاربة لهما عمر بن أَبي ربيعة أُنموذجًا محمود ماجد محسن وإيمان خليفة حامد	٤٠٣ - ٤٢٢
حرفا الاستفهام في ديوان الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) - دراسة دلالية- منى رعد عبدالعزيز و دعد يونس العبيديّ	٤٢٣ - ٤٣٦
اتِّجاهات النقد الأَكاديميّ السرديّ في العراق جاسم حميد أُنموذجًا شيماء حديد دانة	٤٣٧ - ٤٤٨
الذات وازمة الهوية في رواية شظايا فيروز لنوزت شمدين إلهام عبدالوهاب عبدالقادر و حميد عبدالوهاب حسن	٤٤٩ - ٤٦٦
بحوث الاستشراق والإعلام	
ثنائية الشرق والغرب في كتابات المستشرقة البريطانية كارين أرمسترونج مصعب حمادي نجم الزيديّ	٤٦٧ - ٥٠٨
قضايا الشرق العربي بين ازدواجية الإعلام الغربي وغياب الثقة بالإعلام العربي - دراسة تحليلية – جمعة جاسم خلف السبعاويّ	٥٠٩ - ٥٢٤
الآخرُ الشرقيُّ في أدبياتِ الرحالةِ الأوربيين فارس عزيز حمودي	٥٢٥ - ٥٥٤
فِهْرِسْتُ النَّدِيْمِ بَيْنَ تَحْقِيْقَي المُسْتَشْرِق فلُوْكل وأَيْمَن فُؤَاد سَيِّد دِرَاسَةٌ مُوَازِنَةٌ مظفر حسين علي	٥٥٥ - ٥٦٦
أضواء على الدراسات الكيدوكلوجية لدى المستشرقين مهدي محمد علي كصبان	٥٦٧ - ٥٨٦
المدرسة الاستشراقية الإنكليزية ودورها في ترجمة معاني القرآن الكريم محمد نجم حمزة نجم	٥٨٧ - ٦٠٨
بحوث التاريخ والحضارة الإسلامية	
ثنائية الشرق والغرب في المنظور الأَفريقيّ خلال العصور الوسطى بشَّار أَكرم جميل	٦٠٩ - ٦٢٤
المراكز البحثية الأمريكية وصلتها بالاستشراق المعاصر ذاكر محي الدين عبد الله	٦٢٥ - ٦٥٦
ريف الموصل في رحلة ماكس فون أوبنهايم خطَّاب إسماعيل أَحمد ومحمد علي صالح	٦٥٧ - ٦٨٤
الأَثر الأُوروبي في الفكر العربي الحديث قراءة في كتابات المستشرق البرت حوراني محمود صالح سعيد	٦٨٥ - ٧١٠

دور المدارس والمكتبات الأندلسية في التواصل الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية منذ عصر الدولة الأموية حتى نهاية عصر بني نصر (١٣٨-٨٩٧هـ/ ٧٥٥-١٤٩٢م) عبدالله أحمد همام	٧١١ - ٧٣٦
المنجزات الحضارية للعراق أبان عصور ما قبل التاريخ في كتابات الباحث الأمريكي روبرت بريدوود حسين يوسف النجم	٧٣٧ - ٧٦٠
موقف المستشرقين من السيدة خديجة (رضي الله عنها) سعدي محمد علي كصبان	٧٦١ - ٧٨٤
النظرة النمطية للقادة المسلمين في كتابات مؤرخي الحروب الصليبية فوشيه دي الشارتري و وليم الصوري أنموذجًا حياة الطاهر بهلول	٧٨٥ - ٨٠٦
بحوث المعلومات وتقنيات المعرفة	
التقييس والتقييم وانعكاسات اعتماده على الخدمات والعاملين في المكتبات الجامعية شذى أحمد ذنون و عمَّار عبداللطيف زين العابدين	٨٠٧ - ٨٣٤
إدارة المعرفة وانعكاساتها على الدور القيادي لاختصاصي المعلومات في المكتبات الأكاديميَّة شذى أحمد ذنون و عمَّار عبداللطيف زين العابدين	٨٣٥ - ٨٦٠
المعرف الرقمي للوصول الى المعلومات (Digital Object Identifier (DOI - دراسة في ماهيته ومكوناته وفوائده للباحثين والدوريات إيمان عزيز خضر وعمار عبداللطيف زيد العابدين	٨٦١ - ٨٩٢
أساليب التحليل الموضوعيّ لمصادر المعلومات في البيئة الشبكيَّة مجد ميسَّر عبدالباقي و رفل نزار عبدالقادر	٨٩٣ - ٩٢٤
استراتيجية البحث عن الرسائل الجامعية بواسطة رؤوس الموضوعات في قواعد البيانات المتاحة على الانترنت : قاعدة بيانات Pro-Quest مجد ميسَّر عبدالباقي و رفل نزار عبدالقادر	٩٢٥ - ٩٥٦
تكنولوجيا المعلومات ودورها في العمليَّة التعليميَّة شهد وعد الله ياسين وسمية يونس سعيد	٩٥٧ - ٩٨٤
تحديات أمن المعلومات والأمن السيبراني في مؤسسات المعلومات مهند محمد منيب و سمية يونس الخفاف	٩٨٥ - ١٠١٢
اعتماد الأساتذة الجامعيين على مواقع التواصل الاجتماعي كمصدر للمعلومات: كلية الآداب جامعة الموصل أُنموذجًا شيماء هاشم يوسف و سرمد صديق غازي	١٠١٣ - ١٠٤٦
بحوث علم الاجتماع	
التفاوت التنموي بين الشرق والغرب دراسة اجتماعية تحليلية خليل إبراهيم الجبوريّ وحارث حازم أيوب	١٠٤٧ - ١٠٧٠
المرحلة الحضارية ودراسات الاستشراق- المجتمع العربي وثنائية الشرق والغرب - دراسة تحليلية شفيق إبراهيم صالح و نادية صباح الكبابجي	١٠٧١ - ١٠٩٤
التغير عند باومن وابن خلدون دراسة مقارنة بين الصلابة والحداثة فراس عباس فاضل البياتي و علياء أحمد جاسم	١٠٩٥ - ١١١١

بعض التجارب الدولية في الخدمة الاجتماعية المدرسية وانعكاساتها على التجربة الكوردستانية مهدي عبَّاس قادر	١١١٢ - ١١٤٢
الثقافة المادية الغربية وانعكاساتها على الحرف اليدوية الشرقية دراسة تحليلية اجتماعية في اسواق الموصل فائز محمد داؤد	١١٤٣ - ١١٧٨
الثنائية (الشرقية - الغربية) في تخطيط المدن العراقية وآثارها الاجتماعية دراسة تحليلية في مدينة الموصل يوسف حامد محمد عبدالله السبعاويّ	١١٧٩ - ١١٩٨
مواقع التواصل الاجتماعي وتأثيرها على القيم السوسيوثقافية في المجتمعات العربية زهية بختي	١١٩٩ - ١٢٢٤
وسائل الثقافة الغربية ودورها في تمكين المرأة الموصلية (التسويق الإلكترونيّ نموذجًا) - دراسة ميدانيَّة - نسمة محمود سالم	١٢٢٥ – ١٢٥٢
بحوث الفلسفة	
حلول ابن رشد لإشكالية المحرك الأول عند أرسطو سامي محمود إبراهيم	١٢٥٣ – ١٢٧٦
فلسفة الاستغراب (الاستشراق المضاد من دوغما الإيديولوجيا إلى فضاء الإبستمولوجيا هيثم محمد مصطفى	١٢٧٧ – ١٢٩٦
التصور الغربي للثورات في العالم الإسلامي- دراسة تحليلية في الفكر الفلسفي السياسي لبرنارد لويس حسين ذنون سليم محمَّد العلَّاف	١٢٩٧ – ١٣١٤

CC BY

الآخرُ الشرقيُّ في أدبياتِ الرحالةِ الأوربيين

فارس عزيز حمودي *

تأريخ التقديم: ٢٠٢٢/٩/١٣ تأريخ القبول: ٢٠٢٢/١٠/١

المستخلص:

تتلخّص فكرةُ البحث (الآخرُ الشرقي في أدبياتِ الرحالةِ الأوربيين).

أوّلًا: في التعريف: بنشوء ثنائية الأنا والآخر تاريخياً؛ فيما يتعلّق ببعدِهما الحضاري؛ ضمن علاقة الشرق بالآخر الأوربي، والمَعنيُّ بالشرقِ هنا الشرقُ الأوسط.

ثانيًا: يسلّط البحثُ الضوءَ على فكرةِ الآخر في كتاباتِ الرحالة الأوربيين، مع مجموعة من الإنجازات والتصورات التي تضمّنها هذا المنحى الأدبي، المتمثّل برسائل الرحالة الأوربيين عن الشرق وتقاريرهم وكُتبِهم، ويوضح كيف اختصرت أدبياتُ الرحالة الأوربيين الشرقَ، وحوّلته إلى معطىً حالمٍ؛ يلبّي حاجة الأوربيين إلى نوع من المتعة والابتعاد عن صرامة الواقع المادي، لكن على حساب حقيقة الشرق؛ التي دأب كثيرٌ مِن الرحالة على اختصارها، والتركيز على أَبعدها الرومانسية؛ مع طمس واقع الشرق ومعاناته الحقيقية آنذاك.

ثالثًا: يسعى البحثُ إلى الكشف عن حجم ما تركته كتابات الرحالة من معلوماتٍ وتصوراتٍ ومواقف عمِلت على تكوين ثيمةً ثابتة عن الشرق (بوصفه آخر مُفارقًا) في عموم الذهن الأوربي، معبأة بحمولاتٍ إيديولوجية ودينية وتاريخية رسّخت ثنائية سلبية بين الشرق والغرب؛ تقوم على الإقصاء والتهميش.

الكلمات المفتاحية: دين، تاريخ، رحلة.

* أُستاذ مساعد/قسم اللغة العربيَّة/كلية الآداب/جامعة الموصل.

المُقدِّمة

تُعدُّ قضية الأنا والآخر مِن الموضوعاتِ الحساسةِ والمهمة في العصر الحديث؛ نظراً لعوامل كثيرة باتت تشكّل سماتِ العصر، ومن هذه السمات انتشارُ المعرفة وسهولة التواصل بين الشعوب والجماعات؛ ممّا يعزّز نقل التصوراتِ والمواقف تجاه الآخرين سلباً وإيجابًا. فضلاً عن التحولات والتغيرات السياسية والثقافية التي أحدثت إرباكاً شديدَ الأثر في مستوى علاقات الشعوب؛ ولاسيَّما في ظل التأثيرات الإعلامية الواسعة، مما يؤثر سلبًا على السلم العالمي.

إنّ دراسةَ مفهوم الآخر وتحليله يسهم في الكشف عن أهميتِه في تشكيل علاقات سليمة يفترض أنْ تجمعَ الشعوب والجماعات؛ عِبر تعزيز الروابط الايجابية المتضمنة في الاختلافات الثقافية والدينية، وفي الوقت نفسه الكشف عن الجوانب السلبية فيها؛ وبثّ الوعي بين المجتمعات للتحذير مِن آثار الإقصاء على السِلم العالمي.

ويصف البحث كيف تشكّلت صورةُ الآخر الشرقي في أدبيات الرحالة الأوربيين الَّتي قامت في الغالب على المُمايزة والدونية؛ مع أنّ هناك رحّالة نابهين كانوا أكثر موضوعية ووعياً وإنصافاً.

إنّ تحديدَ المنابع التي استقى منها الرحالة الأوربيون مواقفهم مِن الآخر الشرقي قضية معقدة ومتشعبة، لكن العنصر العقائدي والرواية التاريخية وحمولاتها الدينية بقيت مِن أكثر العوامل تأثيراً في تحديد صورة الآخر الشرقي، فضلًا عن الدوافع العرقية والسياسية التي كانت مسوغات لهيمنة القوي؛ متمثلا بالطروحات الاستعمارية.

والبحث لا يستهدف إبداء الجوانب السلبية ولا يتعدُّ بالإدانةِ؛ بقدر ما يبغي الكشف عن آلية اشتغال الممايزة وتفشي الكراهية في خطاب قسمٍ من الرحّالة الأوربيين، ومن ثُمَّ الوعي بخطورة الممايزة ومعالجتها؛ كي تتشكل بين المجتمعات ألفةٌ وترابط؛ بدل التوتر والعدائية؛ لأَنَّ إرث الرحالة الأوربيين له تأثيرٌ وحضور في عمومِ المخيلة الأوربية لم يزل منتشراً؛ نظراً لِما فيه مِن عناصر الغرائبية والتشويق والجانب القصصي والإثارة.

ومن هنا يكون لأدبِ الرحلة خطورة وأثر وطابع انتشاري وشعبي مؤثر؛ ينبغي الحذر من شططه السلبي، والوعي بتأثيره الذي يقوم على العنصرية والدونية أحيانا؛ وفي المقابل دعم توجهه الإيجابي المفيد.

ويحلل البحثُ هذه الأبعاد وينتخب عينات مختلفة لغرض تبيان حمولاتِها وطريقة انتشارها ووصف المظاهر والصور التي شاهدها أو رسمها أو اختلَقها الرحالة؛ ثمّ عوّل عليها واعتمدها في رسم صورة الآخر الشرقي في الذهن الغربي. وهذه الصورة بحاجةٍ التي توضيح وتعديل بالوعي بحمولاتها وسلبياتها وطبيعة خطابها.

ومِن نافلةِ القولُ أنّ البحثُ لا يركيزَ على الجانبَ السلبي؛ على حساب الجانب الإيجابي في منتجات الرحالة الأوربيين، لكن الجانب الايجابي له دراساتُه ومكانته.

جرى تقديم مِهاد أولي عن مفهوم الأنا والآخر لفهم اشتغال ثنائية الأنا والآخر في الذهن الأوربي.

البحث

مِهاد أولي عن مفهوم الأنا والآخر

لمفهومِ الآخر علاقةٌ وطيدة بمفهوم الغيْر، وله أبعادٌ سلبية في كثير من الأحيان؛ لأنَّه يشير إلى كيانٍ دأبهُ التميّز، وتتبعُه مواقفُ وتصنيفات سلبية.

وتستعمل كلمة **غير** في المعاجم العربية بمعنى سوى أو خلا، ولها معنيان: الأول زماني ويدلُّ على التقدم والتأخر، والثاني على المغايرة. وورد في المعجم الوسيط: " تأخّر عنه أي جاء بعده. وتقهقرَ عنه؛ أيْ لم يصل إليه، والآخر أحدُ الشيئين، ويكونان مِن جنس واحد "[١].

وفي المعجم الفرنسي، يأخذ مفهوم الآخر بعداً أوسع؛ يدلُّ على كلِّ ما يختلف عن الموضوع وعن الذات؛ ويشمل الاختلاف في مستوى الأشياء، أمّا مفهومُ الغير، فهو تضييقُ معنى الآخر وحصرُه في مَجال الإنسان "[٢].

---

١ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر تركيا، ص٩. (دُ. ن). د. ت)،

٢ الذات والآخر في الشرق والغرب، صور وإشكالات، حسن شحاته، ص١٧.دار العالم العربي، ط١، القاهرة ، ٢٠٠٨.

وفي اللغة الإنكليزية " يدلُ لفظ الآخر Other من حيث كونه كياناً يختلف عن الذات المفردة (الأنا، النفس Self) وعن الذات الجماعية. وهو خلاصة العلاقةِ الجوهرية والظاهرية لهوية الشخصية. ويدل أيضا على المُؤاخرة الجغرافية للإنسان "[١].

وأمّا في المعجم الفلسفي فموضوعُ الآخرِ واسعٌ ومعقّد، وغالباً ما يتبع التصنيفَ المدرسي، ولكنّه بالتالي: " اسمٌ خاص للمغاير؛ ويقال للأشخاص والأشياء والأعداد، ويطلق على المغايرِ في الماهية، ويقابلُه الأنا "[٢].

وتتمثل العلاقةً بين *الأنا والآخر*، كالتمثلِ بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، و" هذا يدفعنا إلى طرحِ التساؤل: هل نعرف الغير بوصفه ذاتاً أم موضوعاً؟

في اعتقاد سارتر الغيرُ: ذلك الذي **ليس أنا، ولستُ هو**. لكنْ بمجرد الدخول في علاقة معرفيّة معه يتمُّ تحويلُه إلى موضوعٍ، أيْ أننا ننظر إليه كشيءٍ خارج عن ذواتِنا ونسلب منه معاني الوعي والحرية والإرادة. هكذا تبدو كينونة الغير مُتعاليةً عن مجال إدراكنا "[٣] . والحالُ أنّ ما ذهب إليه ساتر فيه إعمامٌ مُخلٌ نسبياً؛ فليس هناك بعدٌ قطعيٌّ بين الذات والموضوع، ولا يعني النظرُ في موضوعِ الآخر ترسيخ مغايرتَه وإخراجه تماماً عن ذاتنا.

جرى توظيفُ المفارقةِ بين الذات والآخر توظيفاً واسعاً على مدى التاريخ؛ لاسيما في موضوع الشرق والغرب، واسهم هذا التوظيفُ في تكوين صورةٍ مُنمطة بين الغرب والشرق كليهما؛ فـ " تحوَّل كلٌّ مِن الغرب والشرق إلى مفهومٍ ميتافيزيقي يقوم على تمركزٍ ذاتيٍّ محاطٍ بتمركزات أخرى، نُسجت مكوناتها بأشكال متخيّلة ونمطية تستحضرُ إمكانات التهميش والإلغاء؛ ليفقدَ المفهوم أيَّ احتمال للجدلِ والتواصل ... وهذا يقتضي الوقوف عند ما أنتجه الخطابُ من طرقٍ لإدراك الآخر، الأمرُ الذي يطرح أسئلةً مُحرجةً أمامَ

1 New Fontana Dictionary of Modern Thought, The Other, The, Oxford. Third Edition, (1999) p. 620.

٢ المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، د. عبد المنعم الحنفي، ص٢٩. ط١. مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠.

٣ الذات والآخر في الشرق والغرب، م.ن. ص١٩

الفِكر المنتِج له، في مرحلة تختلط فيها الرؤى والتصوراتُ بالمصالحِ والرغبةِ في السيطرة "[١].

وفي الواقعِ فإنَّ هذا التنميطُ جاء حصيلةَ أحداثٍ واختلافاتٍ عقائديةٍ وحضارية وحروب؛ عمّت الشرق والغرب؛ وتمخّضت عنها نصوصٌ صارت بحكم المرجِع، فضلاً التغيرات والتبدّلات الجغرافيةِ والسياسية التي تضمّنها هذا التحوّل؛ كالحروبِ الصليبية في الماضي، أو الاجتياح الاستعماري في العصر الحديث؛ الَّتي احتاجت إلى تصنيفِ (**آخرٍ**) وسِمَتْ مَعالمُهُ بصورةٍ تهدف إلى خدمةِ تلك التحولات.

وفي ظلِّ هذه الأوضاع كان للرحالةِ والمستكشفين ثم المستشرقين دورٌ بالغٌ في تثبيتِ صورة الآخر الشرقي في الذهن الأوربي؛ عِبر طروحات مُستمدةٍ من ذلك التداخل الجدلي بين مفهومي الأنا والآخر؛ وانعكست وتمثّلتْ في أدبيات الرحالة والمستشرقين والرسامين.

في التطوّر التاريخي لمفهوم الآخر لدى الرحالة الأوربيين:

خضعت فكرةُ الآخر الشرقي لتطوراتٍ تاريخية عمّتْ العالمَ القديم، ومن هذه التطورات ما خضع لأحكامٍ مسبقة اعتنقها الغربُ عن الشرق جهلاً أو عمداً، وأخذت تلك التصورات بعداً تراكمياً عزّزها التناحرُ السياسي والديني. " وتتبع هذه القضية من تجسّدِ تلك التصورات في تشكيلة مِن أجناس الكتابة: كالأعمالِ الفلسفية والروايةِ والشعر، وأدب الرحلات. وفي الحالات التي عُرض فيها الشرق بكيفية تتجاوز الصورة التي تختزله إلى حكايات غرائبية، فثمة شعور كامنٍ أفضى إلى التمييز بين هاتين الهويتين. فالشرقُ مبهمٌ ومتخلّفٌ، والغرب ذكورة، والشرق أنوثة. ولاحقاً قدّمت هذه التمنيطات تبريراً للإمبريالية ومنحتها الحق في السيطرة على الآخر "[٢].

ومنذ عصورٍ متقدمةٍ كان لحضارةِ اليونان أثرٌ كبيرٌ في ترسيخ مفهوم ثنائية الشرق والغرب. لكنه لم يتجاوز غالبا البعدَ الجغرافي؛ ويدخل نسبياً في إطار ذي بعدٍ حضاري.

---

١ م.ن. ص ٢٦- ٢٧.

٢ التصورات الجنسية عن الشرق الأوسط. البريطانيون والفرنسيون والعرب. ديريك هوبوت. ص: ١٥. ترجمة. ناصر مصطفى ط١. هيئة ابو ضبي للكتاب. ٢٠٠٩.

ومفهومٌ الآخر لدى اليونان " غالبا ما شابَه الكثيرُ مِن سوء الفهم، لأنّ نظرة اليونان إلى الشرق كانت تختلف جذرياً عن نظرةِ أوربا في العصور الحديثة؛ بل أنّ نظرةَ اليونان لأوربا نفسِها غيرُ ما ادّعاه الغربيون في العصورِ اللاحقة. ثم تطوَّر الحالُ إلى الإمبراطورية الرومانية التي بدت فيها مفاهيم **الآخرية** أكثرَ بروزاً وتحديداً، بل أكثر حدةً وتعسّفاً؛ حتى مع المكونات الأوربية الأخرى بما في ذلك الإرث اليوناني ذاته.

ومنذ أنْ تحوّل الشرقُ إلى الإسلام حصل تنازعُ وجودٍ اتخذ له مسوغاتٍ عقائدية اعتمدت على مصادرةِ الآخر؛ ومحاولة الحطّ منه على مستويات مختلفة، " وقد أورد نورمان دانييل في كتابه «الإسلام والغرب أولَ حادثةٍ مؤرّخة أثار فيها الأوربيون في إسبانيا هذه التصورات، إذ تحدّثْ «جماعة الشهداء القرطبية التي تأسّست في القرن التاسع المسلمين بظهورها على الملأ مشهرةً بشخص النبي ﷺ في الأماكن العامة "[1]. وعليه فليس مِن الغريبِ انتشارُ فكرة الإساءة الإسلام في ذلك المناخ، ولربما من غير الغريب أنْ يأخذ كلّ أوصاف الإساءة في المخيلة الشعبية الأوربية.

وقد استحوذت الحملاتُ الصليبية الخمس خلال القرون (١٠٩٦-١٢٩١) على المخيلة الأوروبية. "وكان هدفها المُعلنُ استردادَ الأرض المقدسة، لكنَّ الحقيقة ثمة ذريعة قصدت نهب ثروة الشرق، وتوحيد طبقةَ النبلاء في أوروبا، التي كانت منهمكة في التنافس والتناحر. ولم يكن الذين شكلوا قِوام الحملات الصليبية يعرفون شيئاً عن الإسلام، وانحصرت أفكارهم في الاعتقاد بأن معتنقيه وثنيون وهراطقة.

" وبهذا تهيأ مادة وفيرةٌ لأدب أوروبي غرائبي؛ كالروايات، والشعر، والأناشيد. وخلدت أهازيج إلـ **ترو بادور**، التي تصور بسالة الجنود وهم يتغنون بها في طريق عودتهم من تلك الحملات، رامين وراء ظهورهم أعمالَهم الوحشية "[2].

ثم ستشهد أدبياتُ أوربا تحولاً مفصلياً يختلف من حيث شكله عما افرزه إرث الحروب الصليبية. حدث ذلك منذ دخول الأتراك منافسا شرساً لمصالح الأوربيين؛ فتغيرت ثمية الآخر الشرقي بوصفه مسلماً أو عربياً؛ لتعني تركياً أو عثمانياً. وانعكست هذه الحالة

---

١ Norman. Daniel revised ed. (Oxford, 1933). P. 16-18. Islam and the west,

٢ التصورات الجنسية عن الشرق الأوسط. م.ن. ص: ١٩.

على مجمل ما كتب عن الشرق؛ بما في ذلك كتابات الرحالة؛ ناهيك عن الأدباء والشعراء واللاهوتيين.

وكان للحضور العثماني ثقلُه الكبير في تحديد العلاقةِ بين الشرق والغرب؛ لكنه أخذ ما يشبه الفِصام الذي واكب الحروب الصليبية. وهكذا برزت مفاهيم مختلفة عن **الآخرية** سواء في الشرق أم في الغرب. وهذه (الآخريّة) غالباً ما كانت ذات حمولاتٍ نفسيةٍ ترسخ الشُّقة بين الشرق والغرب، ثم أدتْ إلى حالات سلبية انعكست على ثقافاتِ الشعوب وعلاقاتِ بعضها ببعض "[١].

انضمّ العثمانيون إلى المشهد بوصفِهم مناوئينَ للحضارة الأوروبية، ووطئت جيوشُهم الترابَ الأوروبي، في خطوةٍ معادلة لطردِ المسلمين مِن إسبانيا أواخر القرن الخامس عشر، " ثم تنامت القوةُ العثمانية لتصلَ مدياتِها إلى ضواحي فيّنا. وقد دامت تلك المجابهة بين الأوروبيين والأتراك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، التي خسرت فيها الإمبراطوريةُ العثمانية جميع أراضيها في أوروبا. وهكذا، تلّبس التهديدُ الإسلامي شكلاً تركيّا في عقول الأوروبين، فالمسلمون جميعهم (آخر تركي) وإنْ تخللهم خليطٌ من أعراقٍ أخرى كالعرب والفرس والبربر "[٢].

إنّ تلك الحمولاتِ – التي عمّتْ ولقرونٍ طويلة الذهن الأوربي عن الشرق – كان لابد لها من عمل يضمّها ويؤصّل لها في أدبياتٍ وتواريخَ مُكثفة. وبالفعل حدث ذلك في عملٍ ضخم غطي مساحةً واسعة من الشرق ظهر في فرنسا عام ١٦٩٧؛ إلا وهو **مكتبة الشرق** لـ بارتملى ديربيلو، وهو مَرجعٌ مهمٌ في بابهِ؛ وعنه يقول ادوارد سعيد: " لقد مكّن هذا العملُ أوروبا من احتواء الشرق وشرقنته "[٣] إذ جمع معلومات كثيرة عن الشرق، ووضعها بيد الأوروبيين. فكانت مَرجعاً لمَن أراد التعامل مع الشرق؛ سواء في كتاباته أو رحلاته. وأسهم ذلك العمل في ترسيخ معنى الآخر الشرقي في الذهن الأوربي.

---

١ تطوّر صورة الآخر العثماني في كتابات المستشرقين والمؤرخين الأوربيين. محمد علي محمد عفين. آداب الرافدين. العراق. العدد: ٨٧. ٢٠٢١.

٢ التصورات الجنسية عن الشرق الأوسط. م.ن. ص: ٢٠.

٣ Orientalism. Edward Said. p.65. Vintage books. A division of Random House. New York. First Edition. 1979.

والواقع لم يكن كتاب «مكتبة الشرق» عملا حصرياً عن حياة النبي محمد ﷺ أو تاريخاً للمسلمين " ولم يكن الشرق فيه محصوراً في تلك البقعة التي عاش فيها العرب والمسلمون، بل غدا الشرقُ فيه متخيلاً مُكمّلاً في الوعي الأوروبي، ومهيّأ لأنْ يصبح ميداناً للتخيلات الأوروبية.

كان أنطوان غالان Antoine Galland قد " عيّن في مقدمته للكتاب حدودَ الشرق، بوصفه المكان الذي يعيش فيه العرب والمسلمون؛ إذ تحدث الوقائع الأكثر تهويما ورومانتيكية. وهكذا يكون غالان قد أضاف إلى الصورة السائدة عن الشرق بعداً آخر يتمثّل في سِحر الشرق الغرائبي، وتحققه الرومانتيكي "[١].

وغالان هذا مِن أوائل مترجمي ألف ليلة وليلة، ومَبعوثُ الدبلوماسية الفرنسية في القسطنطينية؛ وله عن الشرق كتاباتٌ واسعةٌ وتعكس مذكراته انبهاره بالمخطوطات الشرقية. و" لقد تأثر برحالة أوروبيين سبقوه إلى الشرق، وقابل **جان شاردان**[٢] Chardin 1643– 1713 م، وهو الآخرُ رحالةٌ فرنسي كتب عن فارس وتركيا والهند. ومع أنّ شاردان كان رحّالة مجِدّاً إلا أنه لم يستطع أنْ يكون كاملَ النزاهة "[٣].

أصدر غالان بين عام ١٧٠٤ و ١٧١٧ أولَ ترجمةٍ أوروبية لكتاب ألف ليلة وليلة، والترجمة بجملتِها تُعد أهمَّ المنابع التي استقى منها الرحالة المتقدمون أخيلتَهم وخلطوها بما شاهدوه واستخدموها في شحذ قصصهم أو وصف رحلاتهم. وفي الوقت الذي كان يشدّد فيها – عبر تقديمه للمكتبة الشرقية – على البعد النفعي في دراسة الشرق، فإنه بسط مقاربةً مختلفة في ترجمته لليالي .... إذ كان له مَلكةٌ مكنته مِن صوغ هذه الحكايات على نحو يوائم الذائقة الأوروبية، فأمست مذ ذاك رائجةَ الصيت عبر أشكال شتى "[٤].

---

١ التصورات الجنسية عن الشرق الأوسط. م.ن. ص: ٢١.

٢ موسوعة المساشرقين. عبد الرحمن بدوي. ص ٨٨. دار العلم للملايين. بيروت. ط٣. ١٩٩٣.

٣ الجذور الشرقية للرومانسية الغربية. فارس عزيز المدرس. ص٩٧. مجلة آداب الرافدين. عدد ٨٢. جامعة الموصل. العراق. ٢٠٢٠.

٤ التصورات الجنسية عن الشرق الأوسط. ص: ٢٠.

وبتأثيرٍ مِن غالان لجأ كثيرٌ مِن الرحالةِ إلى النسج على منواله؛ لاسيما التركيز على العنصر النسوي الذي تسبَّب في رسم ثيمة منتشرة في الذهن الأوربي عن عالم الآخر العثماني، الذي عُدَّ مناوئاً سياسياً ودينياً.

وقد شارك في هذا الأمر نساءٌ رحّالاتٌ مستغلات قدرتهنَّ على التغلغل في بيئة النساء ونقل معلومات عنهن وإضافة أخرى على سبيل التشويق. ومن هؤلاء الليدي مونتاغو (١٦٨٩-١٧٦٢) وهي رحالة و " زوجة «إدوار دورتلى مونتاغوه؛ السفير في إسطنبول، وقد كتبت سلسلةَ مِن الرسائل في تلك الفترة (١٧١٦١٧١٨)، متخذةً من المجتمع العثماني مادةً لتلك الرسائل التي بعثتْ بها إلى أصدقائها، وكانت الرسائل ترسل بصورةٍ مُسهبة عن حياة الحريم، والحمام التركي، والبلاط الملكي؛ مُعرجةً بين حين وآخر على مَشاهدٍ من الحياة اليومية [١]. وكأن صورة الآخر الشرقي نسخة طبق الأصلِ للشخصيات الواردة في قصص الليالي. وعلى شاكلة عشرات آخرين من الرحالة ذلك العصر " كتبت السيدة **ميري لتثبت** أنه وباستثناء مشاهد السحرة طرحت الليالي الصورةَ واقعية للطباع والعادات في تركيا "[٢]. وهذا الحالُ امتدَّ حتى بعد أفولِ نجم الدولة العثمانية، ودخول مجتمعات الشرق الأوسط عصر الاستعمار الأوربي؛ حتى في الأقطار التي لا تقع في آسيا.

والحالُ لم تقتصر عمليات الاستكشاف والرحلة إلى الشرق بدولِ أسيا، بل توسّعت لتشمل أفريقيا أيضا؛ فأفريقيا كانت لها نصيبٌ واسعٌ مِن نشاط الرحالة على اختلاف مشاربهم وأهدافهم؛ لاسيما بعد تنامي حركة الاستعمار الحديث. ونشاط الرحلات الأوربية إلى أفريقيا بدأ متأخراً، وله أسباب تختلف نسبياً عن نشاطهِم في الشرق الأوسط الآسيوي، ويتعلّق بالتغيرات السياسية والاقتصادية التي حصلت في أوربا ذاتها.

كانت " عملية نقل الرقيق مِن شواطئ أفريقيا إلى الأمريكتين، الَّتي استمرت ثلاثة قرون قد تعرّضت لتراجعٍ بعد استقلال الولايات المتحدة في ١٧٧٦، الأمرُ الذي حدا ببريطانيا إلى

---

١ م.ن. ص: ٢٦.

٢ ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنكليزي. محسن جاسم الموسوي. ص: ٢٣. منشورات: مركز الانماء القومي. بيروت. ط١. د.ت.

التفتيش عن بدائل، لاسيما وأنّ الثورة الصناعية بدأت تتطلب موادّ خام، فبادرت إلى حل مشكلة ضحالة الرصيد المعرفي الأوروبي، ودعتْ إلى ما يسمى بـ اكتشاف القارة الإفريقية، وأسّست جمعياتٍ تتولى اكتشاف الأجزاء الداخلية منها عام ١٧٨٨.

وبدأت الجمعيات العمل على جمع المعلومات بأشخاص ليسوا بريطانيين، بل مغامرين وعسكريين. وتزايدت أعداد الرحالين وتطورت وسائلهم، وتنامت المادة التي حصلوا عليها. وبرز في تلك الرحلات شخصيات مثل هينريش بارت ١٨٢١ – ١٨٦٥، وغوستاف ناختبكال الذي ألف كتابه (الصحراء وبلاد السودان) "[١]، رصد فيه أدقّ مفاصل المجتمعات التي لبث فيها، ولكنه رسم معالم لـ آخر شرقي مِن وجهة تحليلاته ومشاهداته هو.

وقد عُدتْ رحلة الرحالةِ **مونغو بارك** فتحاً في تاريخ الرحلات إلى الداخل الأفريقي. إلا أنّ ما قدمه الرحالةُ المتأخرون الذين اهتموا بالوثائق والمعلومات الإثنوغرافية لا يمكن مقارنته بالمعلومات السطحية وغير المترابطة التي صدرت عن رحالةِ عصر التنوير "[٢]. وهكذا نرى التوسّعَ الأفقي لأدب الرحالة، ونلحظ التنوعَ في الأساليب والاهتمام الذي شمل مختلف مرافق الحياة الشرقية؛ فضلاً عن اختلاف بيّنٍ في مشارب الرحالة واختلاف توجههم وجنسهم.

كانت هذه نبذة عن الخريطة التاريخية لتنامي أدب الرحلات الأوربية إلى الشرق الأوسط، بعدها يمكن للبحث أنْ يتوسع في تحليل هذه الظاهرة ويحلّل **صورةَ الآخر الشرقي** في أدبيات الرحالة الأوربيين وأثرها في الثقافة الأوربية؛ وانعكاسها السلبي على موقف الآخر الشرقي منها.

---

١ الرحالة الألماني غوستاف ناختيغال ١٨٣٤ – ١٨٨٥ ورؤيته. للوجود العربي. أ.د. عماد الدين غانم. مجلة الوثائق والمخطوطات – المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية. ص ١٣. ٢٠٠٨.

٢ الانثروبولوجيا والاستعمار. جيرار لكرلك. ص ١٧–٢٨. ترجمة: جورد كتوره. المؤسسة الجامعية للدراسات. ط٢. بيروت. ١٩٩٠.

ترسيخ المغايرة، وفكرة الآخر في أدبيات الرحالة الأوربيين

وبعد تحليلِ مفهوم الآخر وتقديم نبذة عن تطوره التاريخي بحدود دلالته في عنوان البحث صار المجال أكثر وضوحاً لتحليل اشتغال هذا المفهوم في أدبيات الرحالة الأوربيين؛ عبر انتخاب عينات منها؛ نظراً لاستحالة العرض الشامل لنشاطهم.

ولمّا كانت الفكرةُ الأساسيةُ لهذا البحث تنطلقُ مِن تأثيرِ مسلّمةٍ مفادُها: أنْ لا استقلاليةَ لأيِّ عمل أدبي عن السياق الذي أنتج فيه؛ فالتعاملُ مع العمل الأدبي مِن منظور وظيفتِه المعرفية والجمالية غير المرتبطة بالشروط التاريخانية والاجتماعية والسياسة التي أسهمت في تكوينه مرفوضٌ؛ لأسباب مختلفة؛ إذْ إنَّ العملُ الأدبي والمُنتجات الثقافية عموماً مزيجٌ مِن تأثير الخيالِ والواقع والبيئة التي تشكّل فيها.

و" بهذا التصوّر تصدّى إدوارد سعيد في كتابه **الإمبريالية والثقافة** لتحليل وإعادة تأويل الرواية الأوروبية الكلاسيكية عن الشرق ونصوصها بوصفها جزءاً من التجربة التاريخية "[١]. ولكنّه لخّصها بمختصر مفاده: إنّ الشرق في أدبيات الرحالة والمستشرقين وحتى الأدباء هو بالعموم تصنيع شرقي مفارق لواقعه.

إنّ أغلبَ الصور الخاطئة التي أعطيت عن العالم العربي وعن الشرق الإسلامي عموما، فضلا عن الكراهية الشديدة إنما صاغها تراثٌ أدبي وفني انتشر وازدهر في ظل رعاية الإمبريالية " أيْ أنَ الثقافةَ كانت مرتبطةً بالاستعمار ارتباط صميميا، وواقعة تحت تأثير طاغٍ لحقائق القوة. فعندما صوّر الرحّالة والرسامون الشرق مكاناً للعنف والجنس والكسل والتعصب، إنما كانوا يسبغون الصدقية على الفكرة القائلة بأن أهل الشرق ليسوا مؤهلين لحكم أنفسهم، وبذلك كانوا يبررون تمهيد الطريق، لمجيء جيوش أوروبا وموظفيها الاستعمارين "[٢].

وإذا كان أدبُ الرحلاتِ يعطي القارئ متعةً ولذة ويشعره بالجمال والمغامرة بوصفه جنساً أدبياً له روادُه ومحبوه؛ فهو مِن جانبٍ آخر عملٌ ذو خصوصية؛ مِن حيث كونه

---

١ صورة الآخر في الخيال الأدبي. طوني موريسون. مقدمة المترجم: محمد مشبال. ص ١٤. . ط١. دار كنوز المعرفة. عمان. ٢٠١٨.

٢ رسالة إلى الغرب. رنا قباني. ص ٩٣-٩٤. ترجمة: صلاح قباني. الأهالي للنشر والتوزيع. دمشق. ط١. ٢٠٠٠.

مَصدراً مِن مصادر المعرفة؛ وفي الوقت نفسِه عاملاً من عوامل تشويه المعرفة وترسيخ قيم المغايرة بين المجتمعات والشعوب.

وفي أدبِ الرحلات معطياتُ مفيدةٌ؛ سواءٌ على المستوى الفني أو الجمالي؛ أو على مستوى المعرفة والثقافة؛ فالرحالةُ بمعنىً مِن المعاني مؤرخون؛ لهم أسلوبهم ومعلوماتهم الممتزجة بالجمال الأدبي ولاسيما القصصي؛ وهذا ما يؤكد عليه البحث؛ إذ إنَّ كتابات الرحالة وثائق تأريخية؛ بمعزل عن قيمتها العلمية وسلامتها المنهجية. ومعنى هذا أنّ سمة الكتابة التاريخية تؤكّد على أنّ الآخر الشرقي صار كيانا مكتوباً عنه، أمّا مدى مطابقة ما مكتوبٌ عنه ومستوى صحته فهذا – على الحقيقة – المجالُ الثرُّ لنقاد الكتابات التاريخية؛ كلٌّ بحسب منحاه وتخصصه.

" شكّل الشرقُ موضوعاً لتفكيرٍ نتجت عنه دراساتٌ مختلفة، بدا فيها الشرقي نمطاً مُلتبسا بالأساطير والتصورات المغلوطة، وظهر فيها مغايراً لواقع الشرق ذاته، مع أنّ الشرقَ ليس كياناً واحداً؛ لكن الأبحاثَ والدراساتِ صوّرته بناءً على مسبقاتٍ وأحكام التمركز الغربي "[1]، وهذا عينه ما فعله أدبُ الرحالة الأوربيين إلى الشرق.

وقد استُخدِم مفهوم الشرق استخداماً مربكا ووظّف في سياقات مضطربة " وأسهم هذا الاستخدامُ في صنع صور ملتبسة عن الشرق. وتحوّل مفهوم (الشرق / الغرب) إلى ثنائية؛ بناءً على تمركز ذاتي، وغاب المعطى الواقعي للمفهوم، إذ نسجت مكوناتُه على وفق أشكال متخيَّلة تستلهم إمكانيات التهميش، وهذا ما اقتضى الوقوف على ما أنتجه الخطاب من طرق لتمثّل الآخر، والتساؤل عما يعبّر عنه من إرادة للمعرفة بالآخر، الأمر الذي يطرح أسئلة محرجة أمام الفكر المنتج له، ولنمطه المهيمن"[2].

قام التصورُ الغربي على تقسيمات تضخّمُ الذات، وتروي عطش التمايز والتفوق على الآخر، لذلك جرى مدّ هذه الذات بجسور مصطنعة تُحيلها إلى الإغريق، انطلاقاً من هاجس البحث عن أصول ذهبية وماض عريق. وجرى تفسيرُ تاريخ اليونان بشكل يتوافق مع أسطورة الغرب المتمدن والمتحضر. " وقد دعّم ذلك النظريةُ القديمة الرومانية التي

---

١ الذات والآخر في الشرق والغرب. م.ن. ص ٢٦-٢٧.

٢ م.ن.

صنّفت الشعوبَ إلى أصناف متعارضة، مثل متوحشين، وبرابرة، ومتمدنين. ثم استعاضت المسيحية في العصور الوسطى عن معيار الفصل في ثنائية: رومان / برابرة؛ بمعيار فصلٍ آخر يقوم على ثنائية: الإيمان / الكفر.

ثم بدأت في العصر الحديث، حركةُ (الأوْربة) التي تجلّتْ بإخضاع مجتمعات العالم للنموذج الأوروبي، عبر أشكال الاستعمار، ورأت ضرورة إخضاع الشعوب للنموذج الغربي بوصفه النموذج الأصلح، ويحتل الغربي فيه القطب الأول في ثنائية: المتقدم / المتخلف "[١].

ولا غرابةَ في أنْ يُضافَ إلى هذا عنصرٌ تسويغيٌّ تمثّلَ بفكرة الانتداب، أيْ مبرّر التحكّم في الآخر الجاهل؛ بحجة الوصاية!.

ومِن هنا أُضيفت فكرة الوصاية امتداداً للثيمات الأخرى آنفة الذكر؛ فضلا عن المسوغات الانثروبولوجيا الكلاسيكية التي عملت على ترسيخ الدونية بالترويح لدونية الجسد وما يلحق به مِن لون البشرة وحجم الجمجمة وعدم القدرة على التحليل ... . ويدعم هذا العطلُ الحضاري الذي لحق بالشرق وكأنه حالة مطلقة دون النظر إلى عصور تألقه وتفوقه عن الغرب. أي أن الانتخاب التسويغي يعمل على تضخيم صورةٍ وتغييب أخرى؛ خدمة لتصوراته ومن ثُمَّ خدمة لمقرراته.

" وقد ادّعى والأنتروبولوجيون الأوائل أنّ بإمكانهم قياس تطور عرق من الأعراق عن طريق قياس الجمجمة، فشكلُ الجمجمة وحجمها هما اللذان يدلان على قيمة هذا العرق. وكان أحد حاملي لواء هذه الفكرة (جيمس كاولز ريتشارد James Cowles Prichard) الذي قدم في كتابه (أبحاث في تاريخ الجنس البشري ١٨١٣) نظرية الطبقات العرقية متستّرة تحت قناع علمي. إلا أن كتابه الثاني (التاريخ الطبيعي للإنسان) (١٨٦٣) كان أكثر شعبية ورواجا واعتمد فيه على **روايات الرحالةِ** الاوربيين؛ مما زاد من قيمة حديثهم العنصري عن الأجناس الأخرى.

وقد تأثّر الرحالة (بيرتون) بأفكار (بريتشارد) بسبب تشابهها مع نزعته العنصرية. وكان بيرتون مثله يرى أنّ الساميين أكثر تقدماً من الزنوج الذين هم في نظره أدنى أنواع

---

١ م.ن. ص ٢٨.

الجنس البشري "[١]. وبهذا تكون الدونيّة الجسدية إحدى التصورات الترويجية التي روج لها قسم من الرحالة إمّا مباشرة أو بسرد قصص حقيقية أو خيالية تؤول على أنها قصور وانحطاط انثروبولوجي.

أمّا بخصوص قضية الامتياز التي تؤصل للآخرية الدونية فقد عدَّ الكثير الرحالة أنفسَهم ممثلين عن الحضارة " وبذلك اكتسبوا حقوقاً وامتيازات. وفي الوقت الذي رأى فيه رحالة عصر التنوير في المجتمعات البدائية مزيجاً من (طبيعة إنسانية، وعقل) وثقافة مشوهة (الغيبيات) ونمطا من المجتمعات يختلف كليا عن مجتمعاتهم المتمدنة؛ فمن هذا المنطلق دأبوا في مجمل رحلاتهم، على رسم صورة الرجل الأبيض المتمدن، القادر على حل المعضلات جميعها "[٢].

ومع أنّ الشرقَ ليس كياناً واحداً لكنْ ظهرت الكثير مِن حمولات الاستشراق والرحالة والمستكشفين على أساس أنّ الشرق واحد ومتخلف، وجرى فهمه هكذا قُبالة مفهوم التمركز الغربي. و" الفصلُ بين الغرب والشرق لم يأخذ باصطلاحه الجغرافي، بل في تأكيد التباين الثقافي والأيدلوجي بينهما ... والتمركزات صِيغتْ استنادا إلى نوع التمثيل الذي تغذيه المرويات، الثقافية والأدبية، للذات المتوهّمة بالتفوّق، قُبالة الآخر الموسوم بالدونية.

وعليه يغدو التمركزُ نوعاً من تصوّرٍ مضاعف عن الذات والآخر، وتأتي المرويات لتراكم الصور النمطية المتخيلة الناتجة عنه"[٣]. ومروياتُ الرحالة ذاتُ أثرٍ مضاعف في المخيلة؛ نظراً لأنها في الغالب ذات إطار قصصي أو وصفي سهل التلقي من لدن القراء. لكن لفعل كلّ ذلك لابدَّ من تغطيته بغطاء أخلاقي يبرر الأفعال؛ فكان لابدَّ مِن اختيار صفاتٍ خاصةٍ تجعل من الشرقي متّهما لا ضحيةً. وأسهل صفة بعد التخلف العمراني إسباغَ صفة الشر على مجتمعاتٍ مُستضعفة أو متخلّفة لخلق مُبرر الهيمنة، والتدخل في شؤونها أو استعمارها. فمثلا كما ربطت " أوروبا القرون الوسطى بين النساء والشيطان، ورأت فيهنَّ عدواتٍ للكنيسة والمدنيّة؛ وبرَّر مُطاردة الساحرات ومحاكمة النساء بتهمِ

---

١ أساطير أوربا عن الشرق. م.ن. ١٠٠-١٠١.

٢ الانثروبولوجيا والاستعمار. جيرار لكرلك. م.ن. ص ٢٣.

٣ ٢٨-٣٠

الجرائم الجنسية، وأكل لحوم البشر، ومعاشرة الأرواح الشريرة "[١]، فقد مورست هذه النزعة أيضاً في الكثير مِن مواقف الرحالة تجاه بعض المجتمعات الشرقية.

والرواياتُ الأوروبية عن الشرقي غالبا ما تخفضه إلى مرتبةِ الذي لا جدوى مِن إصلاحه " وكان في تلك الروايات التي تصف ذلك (الآخر) مقولتانِ مُلفتتان: الأولى الادّعاءُ بأنَّ الشرق مكانُ الفسق والملذات، والثانية أنَّ الشرق عالمُ العنف المُتأصل. والقرنُ التاسع عشر هو الذي أفرز الشكلَ المنظم لتلك المقولات؛ ... فإذا ما صوِّرت شعوبُ الشرق بأنها خاملة، وليس لها قدرة على أنْ تحكم نفسها، عندئذ يجد المستعمِرُ المبررَ ليتدخل في شؤونها! "[٢].

ولأنّ الرحالة الأوربي بصدد مُخاطبة عقولٍ أوربية شِبه خاوية مِن تصوّر عن الشرق؛ فضلاً عن الجهل باللغاتِ الشرقية فقد كان "آمنا مِن النقد نسبياً، فمَن مِن الذين يقرأون له ويستمتعون بأكاذيبه التي تداعب الخيال سيأتي إلى المدينة المنورة ليتحرّى عن مكانة النخلة في عقيدة المسلمين! التي تحدَّث عنها الرحالة بيرتون مثلاً!. والحقيقةِ فإن المبالغةُ هي السمة الأبرز في أدب الرحلة الغربية تقلُّ درجتها أو تزيد بحسب ثقافة الرحالة وسعةِ خياله "[٣]. وطبيعة ثقافته.

وما مرّ بالعموم لا يعني أنْ ليس هناك رحالةٌ أسوياء؛ هدفهم التحرّي عن الحقيقة؛ لكنَّ الفقرَ في الاطلاع والجهل بلغاتِ الشرق وتاريخه وطبائعه تجتمع لتؤثّر في تصوره وفهمه عن الشرق، وهو سببٌ نابعٌ عن الجهلِ وعدم اكتمال الصورة؛ لا بسبب القصد وسوءِ الطوية.

إنّ تحليلِ خطابِ الرّحالة وتفكيكه موضوعٌ ليس بالهين " نظراً لتعقّد دوافعهم الثقافية، فضلاً عن كون التعقيدات الحضارية والتغيرات الفكرية والسياسية أصبحت مِن العوامل المستجدّةِ في توجيهِ الرحالة الأوربيين. فضلا عن تباين الرحالة أنفسهم من حيث

---

١ Women and Colonization: Anthropological Perspectives, Mona Etienne and Eleanor Leacock.) p. 175. (New York, 1980.

٢ أساطير أوربا عن الشرق. م.ن. ص ١٩-٢٠.

٣ روايات غربية عن رحلاتٍ في شبه الجزيرة العربية. ج٢. ص٢١.عبد العزيز عبد الغني؟. دار الساقي. بيروت. ٢٠١٣.

القصد وطرائق التعبير؛ والخضوع للعامل التاريخي المحمّل بأطر دينية. وإنّ مقولةَ: الغربُ يعرف عن الشرق أكثر مِن الشرقيين؛ لا تصادرُ حضور الشرقي ووعيه فحسبُ، بل وعي الأوربي أيضاً؛ وجعله أسيرَ ما يقرأ "[١].

وعلى النحو الذي يقرُّه فيكتور سيجلان Victor Segalen " فالآخرُ كيان ثقافي مغاير، والذات تشعر بلذة الاختلاف، والذهاب نحو الآخر انتزاعٌ من الذات ومِن ثقلها الثقافي الأصلي، إذ يمكن التمتع بالأجنبي من منطلق ينتزع المرء من نرجسيته وانغلاقه "[٢].

والرحالةَ **بالعموم** لا يحدِّد طبيعةَ منهجهِ، ولا حتى أسلوب كتابته بقدر ما يخضع لتأثير الذائقة الجماهيرية في بلده؛ ليكون جهده مقبولاً؛ والأثر" الذي يفرض حضوره على منتج الرحالة البيئةُ الاجتماعية التي ينتمي إليها، وهو ما ينفكُّ يعزّز انتماءَه إليها بالنسج على منوال متطلباتها. وهذا لا ينفي الذاتية؛ لكنه يحدّد الهيكلَ الذي يفرض ثقله على منتجات أيّ كاتب عن الآخر، لذلك ففي مرحلة العصر الفيكتوري مثلاً؛ وهي مرحلة التوسع الاستعمار البريطاني كانت الروح الاستعمارية والصرامة الأخلاقية والاجتماعية آنذاك تقتضي تعزيزات سلطتها؛ وبموجبها كان يجري دعمُ رحالةٍ ما، وهذا لا يتم إلا إذا تشرّب نفسه بنهجها، وأغلب الرحالة الناجحين وجدوا رفداً سياسياً ومالياً من لدن حكوماتِهم.

" وبصرف النظر عن كون الرحالةِ آنذاك يؤيّد الأفكار الاستعمارية أو يرفضها فإن رؤيته أصبحت أداةً لتلفيق أساطير الإمبريالية؛ التي تزايد حجمُها حتى غدتْ تقاليدَ قام بدعمها العديد من الرحالة بشكل مستمر، وقد كان لهذه التقاليد دورٌ في تكوين التسميات الثقافية "[٣]. التي تفرز الآخر الشرقي بوصفه كياناً مغايراً على مستويات مختلفة.

---

١ تصور الشرق في كتابات الرحالة البريطانيين في العصر الفكتوري. حسين يوسف حسين. مجلة كلية التربية. جامعة واسط. عدد: ٣٧. ٢٠١٩.

٢ تمثلات الشرق في أدب الرحلات الفرنسية. ليلى الجباري. مجلة العلوم الإنسانية. ص ٤٠ -٤١. ٢٠١٧. بيروت. المجلد ١. عن: تصور الشرق في كتابات الرحالة البريطانيين في العصر الفكتوري. م.ن.

٣ أساطير أوربا عن الشرق. م.ن. ١٣٨.

ولا عجبَ أنْ كان قسمٌ مِن النقاد يمجّدون جهد أولئك الرحالةِ ويجِدون في جهودهم " خدمةً نوعيةً لم تتهيأ للرحالة الأوربيين في عصور سابقة؛ مع ما حوتْه رحلاتُهم مِن تعسفٍ في حق الشرق ومبالغات وعقد شخصية وحضارية "[١].

وهذا ما جعل الرحّال ألبرت سميث في كتابه (شهرٌ في القسطنطينية) يعلن غضبَه وشكوكَه من رواياتٍ قدّمها أولئك الرحلات؛ ونشروها بين الناس، يقول: " عمِلتُ ما بوسعي لأنالَ مِن تلك الكتابات؛ نظراً لما خالطها مِن زيف، وتشويه يستغل القارئ؛ بإثارة الأخيلة والأسلوب المنمق "[٢]. وإضفاء طابع الرومانسية على أسلوبه وقصصه.

والنزوعُ الرومانسي الذي تتَّمل في كتابات بعضِ الرحّالةِ أغرى الرسامين برسم شرق ساحر؛ مستفيدين مِن أخيلة اطلعوا عليها عِبر قصصهم الممتزجة بسحرِ ألف ليلة وليلة، فمثلاً الرحالةُ **لين** في كتابه **مصر الحديثة** كان مَصدراً للرسامين الذين رسموا اللوحات التي جسدت عالم النساء؛ وما يسمى بمخادع الحريم. وكانت النساء مِن بين الرموز الأشد غرابة وعجائبية وإثارة لديهم. وقد لقيت كتاباتُه " التعبيرَ الأكثر تماسكاً وقوةً في عمل المصوّر جان أوغست Jean Auguste، ففي عملِه المبكر الذي يعود إلى عام ١٨١٤ رسم لوحتَه **المحظية التركية العظيمة**، وأتبعها بعمليْهِ الشهيرين العيدُ، والحمام التركي "[٣].

إنَّ الافتتان بقصص (ألف ليلة وليلة) جعل العديدَ من الأوروبيين يخلطون بين الشرق الحقيقي وشرق هذه القصص؛ فالليدي (ماري مونتاغو Mary Montagu) مثلًا اعتقدت أنَّ القصص وصفٌ دقيق للمجتمع الشرقي الذي لامست أطرافُه؛ بصفتها زوجة السفير البريطاني. وكتبت بسذاجة: " إنّ هذه القصص كتبها مؤلف محلي؛ ولذلك فهي

---

١ أنظر:

Heart Beguiling Araby: The English Romance with Arabia. Kathryn Tidrick. Tauris Parke Paperbacks 2009.

٢ A month at Constantinople. Albert Smeth. Boston: Bradbury & Guild. Washington street. 1852. 13.

٣ تصور الشرق في كتابات الرحالة البريطانيين في العصر الفكتوري. م.ن.

تصور الناس تصويراً حقيقياً. وبذلك تداخل الخيال والواقع عند القارئ الغربي حتى توهم أنَّهما شيء واحد .

أما (غوبينو) الفرنسي الذي بدأ سفره وهو تحت تأثير الأفكار نفسها فقد كتب: كلّما خطونا خطوة في آسيا ازداد اقتناعنا أنّ (ألف ليلة وليلة) هو الأكثر دقة، وصحة من سائر الكتب التي وصفت أقطارَ هذا الجزء من العالم "[١]. وقد لخص (فريدريك شليغل Friedrich Schlegel وهو من كبار منظري الرومانسية) حماسة الحركة الرومانسية لإمكانيات الشرق الأدبية بقوله: في الشرق نعثرُ على أرقِ شكل للرومانسية، فهو النبع الذي يجب أنْ تنهل منه. فالرومانسيون وجدوا في الشرق عالما مختلفا عن عالم الكلاسيكية، لا عقلانية تملؤه، وتلوّنه حرية التخيل والحساسية، والقدرية. وكان الشرق يوفر لهم خلفية ذات مناظر شاعرية يتحرك عليها أبطال رواياتهم وقصائدهم. ففي قصيدتي (الآستور Alastor) و(ثورة الإسلام The revolt of Islam) نرى أبطال الشاعر (شيلّي Schelley) يزورون الأطلال، ويمرون بوادي النيل، ويجتازون فارس والجزيرة العربية، ويتسلقون الهملايا، حتى يصلوا إلى أكثر الوديان عزلة في كشمير، وبذلك يبرز أمامنا المحور الرئيسي الذي تدور حوله القصائد الرومانسية ألا وهو: الترحال "[٢].

وشرق الرومانسية في الحقيقة مكانٌ لا صلةَ له بالشرق الحقيقي. ومن جهة أخرى فلم يكن هناك أية رغبة في تصوير المدن أو مظاهر البؤس الاجتماعي، أمّا الفقر (في كتابات الرحالة) فلا وجود له في الشرق الأسطوري، إنه الشرق الغني بالبهجة والخيال، هذا الشرق " كما لخصه الفرنسي (شاتوبريان): حمامات، وعطور، ورقص، ولذائذ آسيوية "[٣].

ومن البدهي أنْ يكون في كلِّ مجتمعٍ مثلُ تلك الظواهر؛ لكن في داخل فئة محدودة من النساء، لكنَّ المشكلة كانت بإعمام الحالة، ونقلها إلى المجتمع الغربي على أنها السمةُ الطبيعية للمجتمعات الشرقية ولاسيما العربية. وكتابات الرحالة في تشكيل

١ أساطير أوربا عن الشرق. م.ن. ص ٥٦.

٢ م.ن. ٣٧.

٣ م.ن.

صورةٍ ما أو اختلاقِ ظاهرةٍ شاهدها أو سمع عنها سرعان ما تتحوّل إلى صورةٍ نمطيّة تترسخ في تصورات جماهير القرّاء، خاصا عندما تكون مدعمة بقصصٍ مُشوقة وغرائبية وذات إثارة.

وقريب مِن هذا ما ذكرت الباحثُ روبرت بونتون قائلاً إنّ: " حسابات (الرحالة) الأوروبيين في أوائل القرن التاسع عشر غير قادرة عموماً على التمييز بين (العوالم والغوازي)، وعموم المجتمع، مما يشير إلى درجة مِن الجهل الثقافي؛ فضلاً عن عدم إمكانية وصول معظم الأجانب إلى الأجزاء الداخلية الخاصة من شرائح المجتمع "[١].

هذا فضلاً عن زجّ أخبارٍ ذات طبيعة عقائدية على الكتابات الرِحلية لتمتزجَ المغامرة بهاجس ديني يظهر الآخر الشرقي بها مداناً أو عدوا أو كيانا دونياً في أحسن الأحوال. فنجد مثلا (دزرائيلي Disraeli) يتخذ اسما لبطلَ روايته (تانكرد [*]Tancred) مِن أحدِ قادة الحروب الصليبية " يبدأ رحلته من إقطاعية أهله، وقد تزوّد برؤيةِ بيئته وسلوكياتها، وهو ذهب إلى الشرق كي يتعلّم، ولكن ما إنْ يمضي في رحلته حتى يغدو هو المعلِّم، إنه يحمل معه إلى الأماكن التي توغّل فيها الَّتي تعمها الفوضى انفعالاتِه وكلَّ ما نشأ عليه مِن صرامةِ السلوك.

وإذ أنتج العصر الفكتوري شخصية **تانكرد** الخيالية فقد أنتج على شاكلتِه أيضاً رحالةً قاموا برحلاتهم قبلَ أنْ يشرعوا بها أصلا، وذلك بالاعتماد على ما أنْ زوّدتهم قراءاتُهم بكثير من الصفات التي كانت بمثابة صورة للشرق"[٢].

---

١ ***British Travelers and Egyptian 'Dancing Girls. Locating Imperialism, Gender, and Sexuality in the Politics of Representation, 1834-1870 by Robin Bunton. B.A. (Hons.), P.17.University of British Columbia, 2017***

* تانكرد Tancred، كان زعيماً نورمانياً وأحد قادة الحملة الصليبية الأولى، وشارك في معركة حصار القدس عام ١٠٩٩ أصبح بعدها أمير على الجليل عام ١١٠٠ ثمّ حاكما على إمارة أنطاكية وتوفي في أنطاكية عام ١١١٢م. ينظر:

The Crusades – An Encyclopedia. Grabois, Aryeh. New york. (2006) pp. 1143-1145. 2009

٢ أساطير أوربا عن الشرق. م.ن. ١٣٦.

وكما نوهنا سابقا فالرحالةُ الأوربي " ينتهز كلَّ فرصةٍ ليتحدّث عن الذات، فالأنا الممقوتة في النبرة الكلاسيكية تم تكييفها لتتوافق مع التمجيد الأوربي، وصار الرحال هو الصليبي، والبطل، والجندي المسيحي. وسرعان ما اتسعت شهرتُه وراحت تأخذ أبعاداً أسطورياً. والواقع لم تكن الذات الأسطورية للرحالةِ سوى مُحصلة لِما حمله معه من ثقافة ونزعات ومعتقدات "[١].

والواقع فقد تباينت دوافعِ الرحالةِ ونمطيتهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، " وتوزّعت بين الحماس التبشيري، وحب المغامرة، والبحث عن الرومانسية، والبحث العلمي، والاستطلاع السياسي. وتتراوح حسابات تلك الرحلات في الشرق الأوسط من التقارير الأثرية مثل "اكتشافات السير أوستن هنري لايارد" في مدينة نينوى (١٨٥١) في العراق، إلى الروايات الصاخبة لريتشارد بيرتون. بينما كان إليوت واربرتون في كتابه "الهلال والصليب" (١٨٤٤) أكثر طموحاً؛ لكنه أقل إثارة للانتباه "[٢].

ظهرت طروحاتُ الرحالةِ في منتصف القرن الثامن عشر أكثر رصانةً وتسلحاً بمناهج كتابية لاسيما من حيث الأداء اللغوي، والتنظيم. مع أنَّ العديدَ مِنهم جمعوا بين الأخيلةِ المقروءة في القصص القديمة عن الشرق وبين مشاهداتهم وملاحظاتهم الشخصية عنه. وفي نموذج الرحالة البريطاني **ريتشارد بيرتون** Richard Francis Burton 1821 –1890، تتكثف هذه السمةُ وتظهر بوضوح[٣].

وبرتون " أمدّ المكتبةَ التاريخية بمعلوماتٍ في غاية الأهمية عن الحياة الاجتماعية للمصريين والحجازيين، وتعدُّ ملاحظاتُه مهمّة، وتحمل قدراً كبيراً من الدقة، كما نجده

---

١ الرومانسية دونكان هيث، جودي بورهام. ص٢٥. ترجمة: عصام حجازي. ط١. المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢ .

٢ تصور الشرق في كتابات الرحالة البريطانيين في العصر الفكتور. م.ن. ص ١٥١.

٣ Travels in Arabia Deserta, Doughty, First published in 1964 by Routledge Kegan Paul Ltd, (New York:Dover, 1979), vol. I, p. 5

منصفاً حيال كثير من القضايا التي ناقشها أو الأحداث التي رآها "[١]. لكن هذا لا يعفيه مما وردت في كتاباته من تجنٍّ أحيانا؛ نتيجة قصور في المعرفة أو بسبب حمولاته الثقافية. ومع ذلك " فإن الجمعَ بين كتابات (برتون) عن الشرق وكتابات أوربيين آخرين سيلخِّص الشرق في كبسولة صغيرة من المعرفة يسهل هضمها، إلا أنها معرفة حِيكت بعناية فائقة؛ لا مناص مِن أنْ تؤقع نساجها في شَركها رغما عنه "[٢].

" استخدم بُرتون (ألف ليلة وليلة) ليعبرَ عن دخيلةِ نفسِه، ويتحدّث عن هواجسه الجنسية، كما جعلها مَطية لوصف جميع أنواع الانحرافات بشغف واهتمام. فما أنْ يرد ذكر واحدة من هذه الانحرافات حتى يقتنص الفرصة ليسرد كلّ معلوماته عنها، ولم تقتصر نظرته تلك على الشرق العربي؛ بل طالت أمماً أخرى فكان نظرته " لأهل الصين واحدة من مظاهر احتقاره الشامل للشعوب غير الغربية بعامة: كأهل السند والمصريين، والفرس، والأتراك، وكان عندما يذكر هؤلاء فلكي يشوه سمعتهم جميعا "[٣].

لكن إذا انتقلنا إلى الرحالة البريطاني **دويتي** Doughty (١٨٤٣ – ١٩٢٦) فسنلاحظ كراهيته للإسلام والمجتمعات العربية التي اختلط بها، وألّف عنها؛ لاسيما في كتابه **رحلات في الصحراء العربية** Travels in Arabia Deserta. ودويتي هذا " بالأصل كاتبٌ وشاعرٌ مُتمكن من اللغة الإنجليزية؛ ولد في مقاطعة ثيبرتون، ودرس في مدارسها الخاصة "[٤]، وتشرّب فيها باللغة الإنكليزي وآدابها قبل أن يكون رحالة، " ثم التحق بكلية كينجز في لندن، وتخرج أخيرا من كلية جونفيل في كامبريدج [٥]. " ويتحدث في كتابه

---

١ كتابات الرحالة الأوربيين مصدراً للتاريخ الحضاري للمدينة المنورة من مطلع القرن الحادي عشر الهجري حتى نهاية العصر العثماني. حورية عبد الإله. أطروحة دكتوراه. ص ٩١. جامعة أم القرى. ٢٠١٣.

٢ أساطير أوربا. م.ن. ٩٢

٣ م.ن. ٩٦–٩٨.

٤ David George Hogarth, The life of Charles. Doughty, Publisher: Oxford University Press, 1928, p.2

٥ Doughty, Charles Montagu A Cambridge Alumni Database. University of Cambridge.

رحلات في الصحراء العربية عن الحياة في المجتمعات العربية، وكأنه يتحدّث عن عالم تابع لأملاك الإمبراطورية البريطانية؛ ولكن بإطار ديني مسيحي، وهو حين يذكر سوريا وفلسطين مثلا كأنه بصدد الكلام عن أرض مسيحية مغايرة جذريا لجزيرة العربية " [١]. تاريخيا وحضاريا.

وعمله: (رحلات في الصحراء العربية) في عام ١٨٨٨، وهو في مجلدين " له تأثير على الثقافة الأوربية، ومن المراجع المهمة في أدب الرحلات. كتبه بأسلوبٍ سلسٍ ومتماسك، والغالب عليه استناده إلى جغرافية التوراة. والصورةَ التي رسمها للآخر الشرقي " لا تظهر جليّةً إلا بعد معرفة دوافعه الدينية التي دفعته للرحيل إلى الصحارى العربية. ألا وهي رغبته في فك رموز الكتابات المنقوشة على خرائب (مدائن صالح) لاعتقاده بأنّ لها دلالات توراتية. وبالفعل أشار في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه (الصحراء العربية) إلى أنّ اهتمامَه الشديد بالبحث التوراتي هو الذي جعله يخاطر بنفسِه ويقصد إلى تلك الخرائب"[٢].

يقول في معرِض كلامِه عن حياة البدو في الصحراء العربية: " يمكن أنْ نسمعَ في أحاديثِهم صدى اللغاتِ العابرة، وأنْ نلمحَ في عاداتهم أساليب حياة قديمة تنبعث أمام أعيننا من جديد؛ فنجدنا وكأننا عدنا القهقرى إلى أيام **القبائل العبرانية**. ومِن هنا نصبح أكثر قدرة على قراءة العهد القديم بفهمٍ مختلف زوّدتنا به تلك التجربة الحية.

ولكن هذه التجربة الحية لا بدَّ من أنْ تكونَ ذات ارتباط وثيق بالماضي المسيحي، أمّا إذا كانت مجرّد معتقدات وعادات مختلفة عمّا ينشده الأوروبي، أو كان لها مفاهيم مغايرة للتوراة عندئذ يتحتَّم إنكار هذه التجربة ورفضها؛ لأنها تخلخل الصورةَ الراسخة في ذهن الأوروبي، ويصل رفضُ (دويتي) حد التعصب الذي يذكرنا بتعصب اللهجة الصليبية ومقولاتها "[٣].

---

١ Travels in Arabia Deserta, Doughty, (New York:Dover, 1979), vol. I, p. 11

٢ أساطير أوربا عن الشرق. م.ن. ١٥٩

٣ م.ن. ١٦٠.

أمَّا الرحالةُ **إدوارد لين**. E.W.Lane فيصف مِصر الحديثة بأنها " مخزنُ السحر والغموض، وما يتصل بعلم التنجيم والخيمياء، والحشيش والأفيون، والسحرة؛ الذين يراقصون الأفاعي، والمشعوذين في الساحات العامة، والأفعال الشاذة الغريبة التي تتحدّى الخيال... كان هناك على الدوام البغض والكراهية العتيقان المغلَّفان بالحس الأخلاقي والتعصب الديني.

ولين في هذا يُحصي عيوب المجتمع المصري الذي لاشك كان غارقا في التراجع والتخلف نتيجةَ الحروب والمنازعات السياسية لقرون، إلا أنَّ الأحوال التي ركّز عليها ليست كلّ الأحوال في المجتمع المصري آنذاك؛ لكنه لم يذكر في كتاباته الأحوال الأخرى ولا الايجابيات التي في الحضارة المصرية والإسلامية إلا قليلاً.

وأكثرُ ما يمثّل المخاتلة التي يعتمدها **لين** في الترويج لِما يكتب افتعالُه الموضوعية، يقول في كتابه (سلوك المصريين المعاصرين وعاداتهم)؛ الذي كتبه بدعمٍ من (جمعية نشر المعرفة المفيدة) وتلقى عليه مساعدة مالية: " توخّيت الدقة قبل كلِّ شيء، ولا أتردّد في أنْ أؤكد على أنني لم أتعمّد أنْ أفتعل في أيِّ أمرٍ رويته شيئاً يجعله مثيراً على حساب الحقيقة.

وهذه العبارة المثقلة بالحذر تدلّ على أنّ (لين) كان يدرك التلفيقَ الذي كان يعمد إليه الرحالة ليجعلوا مما يروون شيئاً مثيراً للاهتمام. ولا شك أنه نصّبَ نفسَه خبيرا بالشرق، وبذل جهده كي يتحاشى المبالغات التي أتى بها كُتابٌ أقل معرفة منه. ومع ذلك لم يقوَ على تفادي السقوط في شرك الانتقائية؛ وذلك عندما اختار كلَّ ما من شأنه إثارة اهتمام القارئ الغربي. لذلك كان حين يروي حادثاً لم يشاهده بنفسِه يؤكّد لقرائه بأنّ مصدراً موثوقاً هو الذي أعلمه بتفاصيله.

ولكن سرعان ما يكشف لنا **لين** أنّ هؤلاء الأشخاص ليسوا سوى أقرانه الإنكليز. وخبرةُ هؤلاء لا يمكن الارتياب منها!، لأنهم معصومون مِن أن يعطوا شهادة مشكوكاً في أمرها بسبب الجنسية التي يحملونها! "[١]. وهذا ما حدا بـ بيرتون نفسِه أنْ يوجّه نقداً لما كتبه لين مُبينا التطرّف واللادقة في ترجمته، وكيف أسبغ عليها حمولاته الذاتية وميوله هو. قائلا: " لم يحرز لين، الذي كان متطرفاً نجاحاً في ترجمة حكايات ألف ليلة وليلة، ومن مئتي حكاية أغفل النصف... والأسوأ أنه حوَّل بعضَ الفصول إلى تعليقاتٍ؛ فقدّم الشعر عن طريق النثر، ولم يحفل بدلالاتِ المعجم، فتشوّهت صفحاته بسبب الأخطاء الصبيانية. وهو يدقّق في عادات المصريين المعاصرين له، ويفرط في الحديث عن شريحة الغوازي والعوالم، وكأنه أنفق جلَّ رحلته لتتبع هذه الفئة من المجتمع. فهو يصف بدقة أخبارهم وأماكنهم وأزيائهم وحليهم، ناهيك عمّا وصفه أيضا من أمور أخرى لا نريد الخوض فيها في هذا المجال[٢].

وواضح من كلام بريتون أنه يركز على كشفِ العوامل الذاتية والانفعالية لـ لين فضلا عما يكثفه من كلام على بيئات محدّدة ربما تعكس شخصيته هو وميوله هو.

يقول دانييل مارتن: " انفق لين طويلاً في مصر في القرن التاسع عشر وكتب عن عادات المصريين وتقاليدهم، وأغلب ما كتبه وركز عليه مظاهرَ الانحطاط الأخلاقي وانحراف السلوك عِبر كتابات لا تحليل علمي وواقعي فيها، وهي كتابات مختزلة في نزعة انثربولوجية قُدمت لمَن يريد السفر إلى الشرق "[٣].

---

١ م.ن. ٧١-٧٣

٢ ***An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians,*** Edward William Lane Vol. II; (London, Charles Knight & Co., 1836), p. 271.

٣ ***Islam Obscured The Rhetoric of Anthropological Representation. Daniel Martin p. 139. Newgen Imaging Systems Ltd., Chennai, India. First edition: January 2005***

وهكذا كانت تجري عملية تكرار ونقل صورة الشرقي؛ ليس إلى المجتمع الأوربي فحسبُ بل للرحالة الآخرين الذي ينوون الرحلة إلى الشرق.

ولين في سعيه هذا لم يختلف عن بيرتون في الأنساق التي انطلق منها، وهي أنساقٌ استعلائية ومختصرة للآخر؛ " لاسيما وهو يعرّف نفسَه على أنه رجل الإمبراطورية؛ الذي تدرّب في جيشها، وتعلّم لغات مستعمراتها، وعبَّر عن مفاهيمها ومعتقداتها الإمبريالية، وكان لابد أنْ يلامَ على هذه الخطيئة، فتعبيره الواضح الفاضح لنزوات عصره (هو) كان يشكل تهديدا للبيروقراطية الحذرة التي تؤثر الكتمان[١].

وهذا السلوك والنزعة إلى الإعمام والتقليد جعلت من العسير على الرحالة الاندماج في طبيعة حياة المجتمعات التي كتبوا عنها وانبثّوا في مفاصل حياتها: فهم كلّما حاولوا الدخول في تلك المجتمعات تنامى لديهم شعورٌ بأنّهم مختلفون ومتفوّقون عليهم، مما دفعهم إلى انتهاج طرق خاصة معهم. لاسيما حين يعمَدُ السكانُ إلى إبداء مُمانعة وريبة مِن وافدين لا يثقون بنواياهم ومراميهم. يقول بيرتون عن المصريين:
" يجب أنْ يحكموا بالطريقة التي حكم بها (سير شارلز نابييه) السند، أي أنْ يُوضعوا باستمرار تحت المراقبة، وأنْ تحكمهم سلطةٌ عسكرية، ويُنزع سلاحهم، وتحظر تجمعاتِ رجالهم.

في حين يقول لورنس: " إنَّ سِرَّ التعامل معهم: ألا تتوقف عن دراستهم، بل تأخذ حذرك منهم، وألا تُلقي الكلامَ أمامهم على غواربه، وأنْ تراقب نفسك وأقرانك طيلةَ الوقت. وعليك أنْ تسمع كلَّ ما يُقال، وتتحقق مما يجري في الخفاء، وأنْ تتفرس في شخصياتهم، وتكتشف أذواقهم ونقاط ضعفهم. لقد بُعثت إلى العربِ كغريب ولم أقدر على أنْ أفكر مثلهم أو أتبنى معتقداتهم، بيد أني وإنْ كنت أخفقت في اصطناع شخصيتهم فقد استطعتُ على الأقل أنْ أخفي شخصيتي"[٢].

كانت المعاناة النفسية التي يعاني منها الرحالة شديدة؛ وهم بصدد تغير سلوكهم وملبسهم وطرائق تعاملهم، لأنه يشعرهم بالغربة؛ لكنهم مضطرون إلى ذلك لإنجاح

١ أساطير أوربا عن الشرق. م ن. ١٤٧

٢ تصور الشرق في كتابات الرحالة البريطانيين في العصر الفكتور. م.ن.

مساعيهم في التغلغل في بيئات مختلفة عن بيئاتهم. وأحيانا يشعرهم هذا الافتعال بالضيق الشديد الذي يحملهم على الثورة عليه في كتاباتهم ومعلوماتهم؛ فيوغلون في تحقير مَن يجبرهم على هذا الإرغام والتخفي.

وهذا الحال دفع لونس نفسُه إلى القول: " إنّ قيامي خلال هذه السنين بارتداء لباس العرب وتقليد نمط تفكيرهم أبعدني عن ذاتي الإنكليزية؛ إلا أنني في الوقت نفسه لم أستطع أنْ أدخلَ في الجلد العربي؛ فالأمر كله لم يخرج عن كونه تكلّفًا يكاد يضع المرءَ على حافة الجنون وهو ينظر إلى الأشياء برؤيتين وثقافتين متباينتين في وقت واحد[1].

إنَّ النمطيةَ الكتابية التي يستخدمها لورنس في وصفِ المجتمعات العربية تحاول رسم ثيمةٍ عامة عن العربي الذي كان يسكن البادية ويجعل منها نمطية عامة توحي للقارئ الغربي بأنه يصف العرب أجمعهم وفي مختلف عصورهم. وهو يُرسل ما يكتبه إلى الأوربيين بوصفهم قراء أولاً، وثانيًا بوصفها معلومات سياسية إلى الدوائر المختصة في بلده. ولا يرسلها بوصفها انطباعات ذاتية بل تقارير مفروغٌ من صحتها. وعلى هذه الوتيرة يشتغل الخطاب وتتبُّ الفيلولوجيا السردية لترسمَ ثيمة ثابتة للآخر الشرقي في الذهن الأوربي.

قد يبدو لورنس أنه يكتب خارج نطاق الأدب في تقاريره المرسلة ولكن تقاريره في الحقيقة جهد سردي فائق القصدية والتأثير. وقد يبدو أننا بصدد رحالةٍ يقتحم المجالَ السياسي على الخصوص؛ لكن عمله يقع ضمن السرد الحكائي الوصفي الذي ينتهي إلى النهاية ذاتها التي ينتهي إليها الرحالة ذو الميول الأدبية البحتة " الَّذي يدلل على قطعية مقرراته التي كان يقدمها على شكل تقارير للحكومة البريطانية ما كتبه لاحقا تحت مسمى (أعمدة الحكمة السبعة Seven Pillars of Wisdom) فالعنوان يكفي ليدلل على التعالي الذي يضمره أو يعلنه، **فأولا:** هي أعمدة حكمة مقدّسة؛ مأخوذة مِن **سفر الأمثال** في العهد القديم؛ بحسْبِ نسخة الملك جميس.

1 Seven Pillars of Wisdom. T. E. Lawrence: A Triumph. (London, 1935; 1965) p.18-19.

وثانيا الحكمة لها مراتبُ لا تأتي إلا مِن حكيم عارف، لذلك فأحكامُها ومقرراتها لها سطوةٌ وحضور شاخص؛ له ما يشبه القدسيةَ في أذهان السامعين؛ وإلا فمن ذا الذي يتجرّأ على الحكمة وينال مِن صدقها! [١].

وهذا الحالُ حمَل الرحالة ويلْفريد بلُنْت Wilfred S. Blunt إلى الوقوف موقفاً شديداً ليس من الشط الذي مارسه الرحالة الذين عاصروه أو الذين سبقوه فحسبُ " وإنما وقف موقفاً حاداً مِن سلوك الحكومة البريطانية ذاتها تجاه الشرق بعامة؛ بما في ذلك سياستها في الهند والشرق الأوسط. وما قدّمه مِن ملاحظاتٍ ونصائح لحكومتِه لاقت رفضاً؛ لكنها ما لبثت أنْ تبيّنت أنّ في رؤية بلُنت صواباً ومواقف متفحصة وإنه ذو نزعةٍ منصفة وسلوك إنساني؛ يتعارض مع الموقف النفعي للحكومة البريطانية، مع أنه لم يكن يتخلّى لحظةً عن دعمِ مصالح بلده؛ لكنّه يمتاز بسلوكِ نقدي "[٢]؛ وحمله لنزعة أخلاقية تأنف مِن أنْ تحقّر الآخر أو تزور حقيقته.

وبخلاف الحالِ الذي كان عليه برتون ودويتي ولورنس وغيرهم؛ " لم يغيّرْ **بُلنت** مِن نظرته الأولى إلى صفات البدو، ولا مِن تعاطفه معهم؛ إذ بقي على إعجابه بورعهم الديني وبنظرة المساواة التي كانت تسود مجتمعهم؛ إذ كان شيوخهم ذوي المحتد يتلقّون احترام الأفراد بتواضع جم، بعيداً عن مظاهر السلطان والأبهة الفارغة "[٣].

---

1 Letter of T. E. Lawrence, edited by David. Garnett. Jonathan Cape. London. 1939

Proverbs 9:1 bible hub. James, accessed 19 June 2018. P.607

ينظر: تصور الشرق في كتابات الرحالة البريطانيين في العصر الفكتور.. ص ١٥١. م.ن.

٢ م.ن

٣ أساطير أوربا عن الشرق. ١٥٠

ويقول في مقدمةِ كتابه **أفكار عن الهند** Ideas about India الَّذي ذيّل عنوانه بعبارة عربية مفادها(عدلُ ساعةٍ خير من عبادة سبعين سنة): " هناك مسألة قد تكون شخصية؛ لكنني استغلها لأبين رأيي ببضع كلمات، فمن بين منتقدي كتاباتي عن الهند، هناك البعض ما ينفكون عن دحض حججي، لكن يتملّكهم اليأس فيلجؤون إلى مُهاجمتي؛ بحثا عن مصالحهم وسلامتهم. إنهم سياسيون يتخاصمون فيما بينهم، وفي اطلاعهم وزيارتهم للهند لا يهدفون إلى إجراء تحقيق صادق في المظالم القائمة، ولكن من أجل إثارة نزاعات جديدة تلحق العار بإنجلترا[١].

وينتقد **بلنتْ** العقليةَ الراديكالية في السياسة البريطانية قائلا: " إنّ السكانَ الأصليين – كما يسمونهم – جنسٌ من العبيد، متجعدين، غير سُعداء، ونحيفين بشكل رهيب، وهذا يتمثّل أيضاً في العبوديةِ المصرية التي يفرضونها. إنّ إيماني بالمؤسسات البريطانية يشعرني بأنها ستتلقى ضربة مباشرة، لأنَّ هذه الشعوب تعيش حالة مأساوية وستنفجر عاجلاً أم آجلا. إنّ حجة تطوير الهند تفضحها الممارساتُ التعسفية التي تشهدها تحت طائلة الاحتلال البريطاني. وهكذا ممارسات ومعدلات فقر متدنية ستحولهم إلى أكلة لحوم البشر، ولا أفهم كيف تنهب بريطانيا أموالهم وهم يتضورون جوعاً في مقابل ما تلقي عليهم من قذائف"[٢].

1 Ideas about India., wilfrid Blunt, kegan paul, London, trench, & Co.I, paternoster Square. 1885. p. 21..

٢ م. ن.

وفي كتاب بلنت (التاريخ السري للاحتلال الإنكليزي لمصر Secret History of the English Occupation of Egypt) تفصيلاتٌ عن مستوى الاعتداء والإجحاف الذي طال الشعب المصري تحت نير الاحتلال، لكن ذلك الظلمَ مسكوتٌ عنه فيما كتبه كثير من الرحالة؛ وأغلبهم أمّا مغرمون بشرق خيالي يستجيب لنزواتهم أو هو مجتمع متخلفة؛ فيمعنون في تضخيم تخلفها ليسوّغوا لأنفسهم ما يفعلونه وما يبثونه من أفكار وتصورات[١].

١ ينظر: التاريخ السري للاحتلال الانكليزي لمصر. رية شخصية للأحداث. ولفريد سكاون بلتن. ترجمة: صبري محسن. المركز القومي للترجمة. ط١. القاهرة. ٢٠١٠.

The Eastern Other in the Literature of European Travelers

Faris Aziz Hammoudi *

Abstract

The idea of this research (the eastern other in the literature of European travelers) is summarized first: in the historical definition of the mergence of the dualism of the ego and the other; With regard to their cultural dimension; Within the relationship of the East with the European other. What is concerned with the East here is the Middle East.

Second: The research sheds light on the idea of the other in the writings of European travelers, with a set of achievements and perceptions contained in this literary trend, represented by letters, reports and books of European travelers about the East. Explaining how the literature of European travelers shortened the East and turned it into a dreamy given; It meets the need of the Europeans for some kind of fun and to stay away from the strictness of the material reality, but at the expense of the reality of the East, which many travelers have been striving to shorten, and focus on its romantic dimension and on the side of excitement; With the obliteration of the reality of the East and its real suffering at the time.

Third: The research seeks to reveal the volume of information, perceptions and attitudes left by the traveler's writings that worked to form a stable and deep theme about the East in the whole of the European mind, packed with ideological, religious and historical loads that established a negative dichotomy between East and West.

Keywords: religion, history, journey.

* **Asst Prof/Department of Arabic Language/College of Arts/University of Mosul.**